

مقدمة

لظهور النازي لعلاج مشكلة الفقر

المتبع للتاريخ الإنساني على مر العصور والأزمان ، يجد أمراً جديراً بالملاحظة، وهو أن أى مجتمع به طبقتان : طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء. وكلما ازدادت طبقة الأغنياء غنىً تزداد طبقة الفقراء فقراً ، عندئذ يتداعى البنيان الاجتماعي ، لوْهُنَ أساسه ، وقد لا يدري المترفون من أى النواحي خر عليهم السقف.

لقد كانت مصر في عهدها القديم جنة الله في الأرض ، وكانت أرضها تنتج ما يكفي أضعاف أهلها ، ومع ذلك كانت الطبقة الفقيرة لا تجد ما تأكله ، لأن طبقة الأغنياء لا تترك لهم شيئاً إلا اليسير الذي لا يُسمن ولا يُغنى من جوع. ولما أصابتها المجاعة في عهد الأسرة الثانية عشرة ، باع الفقراء أنفسهم للأغنياء فساموهم سوء العذاب !.

أما لدى الإغريق (اليونان) الأقدمين فكان حال الفقراء أسوأ بكثير من حاله في مصر القديمة ، فقد كان الفقراء يساقون بالسياط إلى أحط الأعمال، ويذبحون لأقل الهفوات.

ولم يكن حال الفقراء في الدولة الرومانية، وما قام على أنقاضها من ممالك أحسن حالاً من ذلك ، فقد كان الفقراء يباعون كالماشية مع أراضيتهم.^(١)

(١) لمزيد من التفاصيل حول وضع الفقراء في العصور القديمة انظر :

• محمد فريد وجدي ، الإسلام دين عام خالد ، الطبعة الأولى ، ص ١٧٩-١٨١.

• يوسف القرضاوى ، فقه الزكاة الجزء الأول ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٤٦-٥١.

وأمام هذا الوضع السيئ حاولت الأديان الوضعية والسماوية السابقة على الإسلام، التخفيف من حدة هذه المشكلة بالدعوة إلى البر والرأفة بالفقراء والضعفاء، ولكن هذه الدعوة لا تعدو أن تكون ترغيباً في الإحسان والعطف، وترهيباً من الأنانية والبخل ودعوة إلى التصديق الفردي الاختياري، ولم تتمتع بأي درجة من الإلزام بحيث يشعر من لا يفعل بالخوف من عقاب الله في الدنيا والآخرة. كما لم تحدد تلك الأديان المال الذي تجب منه الصدقة والمقدار الواجب فيه. كما أن هذه الدعوة إلى الإحسان لم يكن هدفها «علاج مشكلة الفقر» ، بل كان المقصود منها التقليل من البؤس الذي يعانيه الفقراء.

فلما جاء الإسلام وضع منهجاً متكاملًا لرعاية الفقراء والضعفاء لم يسبق له نظير في ديانة سماوية ولا في شريعة وضعية ، سواء ما يتعلق بجانب التربية والتوجيه ، أو ما يتعلق بجانب التشريع والتنظيم ، وما يتعلق بجانب التطبيق والتنفيذ. بل إن الإسلام جعل رعاية اليتيم، والحض على طعام المسكين مساوياً للإيمان بالله ، وأن ترك ذلك مساوٍ للكفر بالله العظيم ، وذلك في قوله سبحانه. ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّكْرِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يُحِصُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣].

وفي العصر الحديث تطور منهج تخفيض أعداد الفقراء خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، ففي الخمسينيات والستينيات رأى البعض أن استثمار مبالغ كبيرة في بناء رأس المال المادى ومرافق البنية الأساسية هو الوسيلة الرئيسة لتحقيق التنمية ومن ثم تخفيض أعداد الفقراء ، وفي السبعينيات أدرك المهتمون بشئون التنمية أن رأس المال المادى وحده لا يكفي لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وأن التعليم والرعاية الصحية لهما نفس القدر من الأهمية ، لذلك أوضح تقرير البنك الدولي عن التنمية في العالم لعام ١٩٨٠ م ، أن تحسين مستوى التعليم والرعاية الصحية هام جداً لتحقيق التنمية وكذلك لتشجيع نمو دخول الأفراد.

وفي الثمانينيات حدث تحول في محور التركيز لينصب على تحسين إدارة الاقتصاد، والسماح لقوى السوق بأن تلعب دوراً أكبر ، لذلك اقترح تقرير البنك الدولي عن التنمية في العالم ١٩٩٠م لمعالجة الفقر ، استراتيجية ذات شقين : الأول، تشجيع النمو المكثف لاستخدام الأيدي العاملة من خلال الانفتاح الاقتصادي والاستثمار في مرافق البنية الأساسية ، والثاني ، تقديم الخدمات الأساسية للفقراء في مجالي التعليم والرعاية الصحية.

وفي عام ٢٠٠٠/٢٠٠١م وفي ضوء الأدلة والتجارب والخبرات المتراكمة من العقد الماضي ، اقترح البنك الدولي - في تقرير عن التنمية في العالم - استراتيجية للتصدي للفقير بثلاث طرق : تعزيز إتاحة الفرص ، وتسهيل تمكين الناس من أسباب القوة ، وتحسين الأمن. وليس هناك أي ترتيب لهذه العناصر من حيث أهميتها ، إذ أن كلا منها يكمل بقيتها بشدة ويتكامل معها. وكل جزء من هذه الاستراتيجية يؤثر في الأسباب الكامنة وراء الفقر التي يعالجها الجزآن الآخران.^(١)

ونلاحظ - مما سبق أن استراتيجيات الحد من الفقر، وتخفيض أعداد الفقراء التي اتبعت خلال النصف الثاني من القرن العشرين فشلت في تحقيق أهدافها بل تزايد أعداد الفقراء في العالم ، فقد ارتفع عدد من يعيشون على أقل من دولارين في اليوم من ٢,٤٥ مليار نسمة عام ١٩٨١م إلى ٢,٦١٤ مليار نسمة عام ٢٠٠٢م.^(٢)

(١) البنك الدولي ، شن هجوم على الفقر ، تقرير عن التنمية في العالم ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ٢٠٠٠ / ٢٠٠١ ، ص ٦-٧.

(٢) World Bank, World Development Indicators, Washington, 2006, PP. 73.

وفي مصر ارتفعت نسبة الفقراء إلى إجمالي عدد السكان من ٢٠,١٪ عام ٢٠٠٠م إلى ٢٠,٧٪ عام ٢٠٠٤، وإن كان هناك تحسن في نسبة السكان الأشد فقرا حيث انخفضت نسبتهم من ٥,٨٪ عام ٢٠٠٠م^(١) إلى ٤,٧٪ عام ٢٠٠٤م.^(٢)

وفي الولايات المتحدة الأمريكية بلغ معدل الفقر ١١,٧٪ عام ٢٠٠١م^(٣)، وتشير إحصاءات توزيع الدخل إلى أن أفقر ٢٥٪ من السكان حصل على ٣,٥٪ من الدخل، في حين حصل أغنى ٢٥٪ على ٥٠,١٪ من الدخل عام ٢٠٠١م، بينما حصل أغنى ٥٪ من السكان على ٢٢,٤٪ من الدخل في نفس العام.^(٤) وتشير هذه الإحصاءات إلى المدى الذي بلغه سوء توزيع الدخل في الولايات المتحدة!

إن التطور التاريخي لمشكلة الفقر وفشل جميع الجهود التي اتبعت لحلها، أثبتت أن الاعتماد على المدخل المادى الكلاسيكى وحده لعلاج مشكلة الفقر غير كافٍ، ويتطلب الأمر البحث عن مداخل أخرى، تساند المدخل المادى وتكمل أوجه القصور المصاحبة له. والإسلام يوفر مثل هذه المداخل التى تعزز المدخل المادى، ويدخل علاج الفقر فى صلب العقيدة الدينية للإنسان المسلم.

(١) تقرير التنمية البشرية، معهد التخطيط القومى بالاشتراك مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائى، القاهرة، ٢٠٠٣، ق/١٦، ص ١٣٩.

(٢) تقرير التنمية البشرية، معهد التخطيط القومى بالاشتراك مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائى، القاهرة، ٢٠٠٥، ق/١٥، ص ١٩٤.

(٣) U.S. Bureau of the Census, Poverty in the United States: 2001, Current Population Report, Series P. 60, No. 219, September 2002, (www.census.gov.).

(٤) U.S. Bureau of the Census, Money Income of Households, Families and Persons in the United States : 2001, Current Population, Series P. 60, No. 218, September 2002. (www.census.gov/hhes/www/.)

فقد جعل الإسلام «زكاة المال» الركن الثالث من أركانه التي لا يكتمل إسلام المرء إلا بها. كذلك جعل الإسلام الحض على طعام المسكين قرين الإيمان بالله العظيم ، وتَرَكَ ذلك الحض قرين الكفر به سبحانه وتعالى. كذلك جعل الإسلام شكر الله على نعمه يكون بالتصدق على الفقراء والمساكين ، وجعل كفارات الذنوب التي يقع فيها الإنسان -خلال سعيه في الحياة الدنيا- إطعام المساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة مؤمنة من ذل العبودية ونير الرق وغير ذلك من الأمور الأخرى. كل ذلك في منهج متكامل الأركان للقضاء على الفقر، واستئصاله من المجتمع البشرى.

❁ لذلك فإن هذا الكتاب يهدف إلى :

(أ) بيان المنهج الإسلامى المتكامل لعلاج مشكلة الفقر ، وهذا يتطلب جمع متفرق هذا المنهج في كتب فقه العبادات وفقه المعاملات، وكتب المالية الإسلامية، والسياسة الشرعية، وكتب التاريخ الإسلامى وكتب الاقتصاد الإسلامى ؛ وذلك ليكون هذا المنهج واضحاً أمام المسئولين ومتخذي القرار في المجتمعات الإسلامية للاستفادة منه في القضاء على مشكلة الفقر ، خاصة وأن هذا المنهج مرتبط بالحياة اليومية للإنسان المسلم غنياً كان أم فقيراً.

(ب) بيان التطبيق العملي للمنهج الإسلامى لعلاج مشكلة الفقر.

(ج) التقدير الكمى لبعض عناصر المنهج الإسلامى لعلاج مشكلة الفقر ، خاصة المتعلق منها بدور الأغنياء في علاج مشكلة الفقر. وبيان أثر هذه العناصر على توزيع الدخل العائلى في مصر عام ٢٠٠٤/٢٠٠٥م.

ومنهج الإسلام في مواجهة مشكلة الفقر ينبع أساساً من توصيفه لمشكلة الفقر ، وهذا التوصيف يختلف تماماً عن توصيف المناهج الأخرى التي حاولت

مواجهة مشكلة الفقر ، لذلك يجب عرض هذه المناهج وبيان توصيفها لمشكلة الفقر أولاً قبل بيان توصيف الإسلام لمشكلة الفقر.

وتحقيقاً للهدف من هذا الكتاب ، فلقد تم تقسيمه إلى المباحث الرئيسة التالية:

✽ المبحث الأول : مناهج مواجهة مشكلة الفقر.

✽ المبحث الثاني: توصيف مشكلة الفقر من المنظور الإسلامي.

✽ المبحث الثالث: المنهج الإسلامي لعلاج مشكلة الفقر.

✽ المبحث الرابع: التطبيق العملي للمنهج الإسلامي لعلاج مشكلة الفقر.

✽ المبحث الخامس: التقدير الكمي لبعض عناصر المنهج الإسلامي لعلاج مشكلة الفقر.

✽ الخاتمة.

والله ولي التوفيق

المؤلف